مختلفة. وظهرت مبادرات عربية دفعت في هذا الاتجاه. وكان من اصحاب هذه المبادرات الأوائل العراق ومصر وسوريا. وبالاجمال، أراد الفلسطينيون كياناً يبلور هويتهم الوطنية ويستوعب نضالهم لتحرير الوطن، وأرادت الدول العربية، غير القادرة على قهر الارادة الفلسطينية، كياناً يستجيب لهذه الارادة، ويمكّن هذه الدول، في الوقت ذاته، من ضبط حركة الكيان المأمول حتى لا تشكّل عبئاً عليها. وحصيلة تقاطع الارادتين، العربية والفلسطينية الخاصة، تغلّبت على معارضة المعارضين في الجانبين ونشأت م.ت.ف. حاملة التأثيرات المتباينة للارادتين، وما في داخل كل منهما من تلوينات متعدّدة.

هنا نضع اليد على خصوصية أخرى من خصوصيات الوضع الفلسطيني انعكست تأثيراتها الواضحة على بناء المنظمة وعلى الممارسات الديمقراطية داخلها. فقد نشأ للفلسطينيين كيان تجسّد، في الظروف التي أشرنا اليها، في منظمة ليس لها سلطة على أي جزء من أرض الوطن، لا على الجزء الذي قامت عليه اسرائيل ولا على الاجزاء الخاضعة لدول عربية، كما انها ليست لها أي سلطات مادّية على أبناء الشعب الذي تمثّله الا السلطات القليلة التي توفّرها لها أنظمة هذه الدول والتي لا يحق لها أن تمارسها، على كل حال، الّا باشرافها. وكان من الممكن، بالطبع، ان يجيء الكيان على هذا النحو، وان يكون قوياً لو تحقق انسجام كامل بينه وبين الانظمة التي تعيش تجمعات شعبه في دولها، أو لو توفّرت لهذه الانظمة الدرجة الكافية من الديمقراطية التي تبيح ان تنشط م.ت.ف. بحرية. الا ان واقع الحال عكس شروطاً مغايرة؛ فلم تتوفر لا في مصر ولا في سوريا هذه الدرجة من الديمقراطية، ولا توفرت الديمقراطية في أي من الدول الاخرى التي أيّدت قيام م.ت.ف.، واعترفت بها كممثل للشعب الفلسطيني. أمّا في الدول التي عارضت قيام المنظمة، فقد انضاف تأثير غياب الديمقراطية الى تأثيرات الصراعات العدائية مع المنظمة. زد على ذلك ان الرعيل الذي أسّس المنظمة وكان له الصوت الاول النافذ فيها، أو لنقل ان الناس الذين أباح تشابك الوضع العربي لهم ان يكونوا في طليعة المؤسسين، كانوا من المتأثرين بالافكار القومية العربية السائدة؛ فلم يتنبهوا، بدرجة كافية، الى أهمية السلطة الوطنية، ولم يجعلوا ممارستها في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، على الاقل، من بين أهدافهم. وقد اكتفى هؤلاء بحقيقة ان السلطات القائمة في هذين الجزئين من أرض فلسطين هي سلطات عربية. فجعلوا جهدهم موجهاً لاستعادة الجزء من أرض فلسطين الذي تحتله اسرائيل.

حملت الصيغة الاولى لـ م.ت.ف. تأثيرات هذه الظروف الخاصة، الشتات، ورضوخ المجموعات المشتتة لسلطات متعدّدة، وغياب السلطة الوطنية، مثلما حملت تأثير الخلافات والتناقضات بين الدول العربية. واعتمد المؤسسون أسلوباً جعلهم أقرب، من حيث مفاهيمهم الديمقراطية، الى الصيغ التي سادت قبل العام ١٩٤٨ في اختيار ممثلي الجمهور، ومنسجمين، في الوقت ذاته، مع الاوضاع في الدول العربية ذات التأثير على الفلسطينيين.

التعبير عن صيغ الماضي تجلّى في الطريقة التي تشكّل بها المجلس التأسيسي أو ما يسمّى بالمؤتمر الفلسطيني الاول الذي تحوّل هو ذاته الى المجلس الوطني الفلسطيني الاول. فقد تشكّلت لجنة تحضيرية عليا، تبعت لها لجان تحضيرية في كل دولة عربية توجد فيها تجمّعات للفلسطينيين. وتولّت هذه اللجان الاتصال بالذين امكنها الاتصال بهم، وأجرت ما تيسّر من مشاورات، وراعت، بقدر ما استطاعت، الاعتبارات التقليدية للوجاهة والنفوذ بما فيها المنشأ البلدي، وسمّت مندوبي المؤتمر على هذا الاساس. وفي الانسجام مع اوضاع الدول العربية ورغبات سلطاتها، تعمّد المؤسسون ان تكون اللجان التحضيرية علنية، وان تحظى برضى السلطات التي تنشط في أرضها، وجعلوا رغبة